

لغة التعبير في الموسيقى والفن التشكيلي "لوحات في معرض الصور" أنموذجاً

محمد الملاح، قسم الموسيقى، كلية الفنون الجميلة، جامعة اليرموك، اربد، الأردن.

وقبل للنشر في 2007/5/10

استلم البحث في 2006/11/14

ملخص

يتناول هذا البحث العلاقة التعبيرية بين فن الموسيقى والفن التشكيلي، كما يؤكد أيضاً على إمكانية نقل الصورة المرئية (اللوحة) من حالة الصمت الفيزيائي إلى حالة صويحة مسموعة ولا يخفى على احد أن كلا الفنين المرئي (اللوحة) والمسموع (الموسيقى) ما هما إلا أدوات تحرك المشاعر وتنمي الخيال وتؤدي إلى الإبداع في الإنتاج، إلا ان هناك بعض الاختلافات فيما بينهما، الناجمة عن طبيعة كل منهما، فهناك حالات يتفوق فيها الفن المسموع (الموسيقى) على الفن المرئي (اللوحة) والعكس كذلك.

في أدبيات الفن هناك العديد من اللقاءات فيما بين الفنانين في الموسيقى والفن التشكيلي لكن هذه اللقاءات قلما اتجهت إلى دراسات جادة للخروج بنتائج محددة، وفي هذا البحث مثال حي من هذه اللقاءات؛ فقد التقى المؤلف الموسيقي موديست موسورسكي وصديقه الرسام فيكتور هارتمن في العمل الفني الذي تمثل في العمل الموسيقي "متتالية لوحات في معرض الصور" الذي استمده الفنان الموسيقي موسورسكي من سلسلة أعمال فنية (لوحات) كان الفنان (الرسام) هارتمن قد رسمها وعرضت في معرض أكاديمية الفنون في سان بطرسبرغ عام 1874.

يتلخص هذا البحث في تحليل التعبير المرئي الذي قام به هارتمن إلى تعبير مسموع قام به موسورسكي، معتمداً على المدونة الموسيقية للعمل وعلى الاستماع إلى المقطوعة الموسيقية وكذلك على المصادر والمراجع المتوفرة بهذا الخصوص.

The Language of Expression in Music and Plastic Arts: "Pictures at an Exhibition" as a Model

Mohammed Al-Mallah, *Music Department, Faculty of Fine Arts, Yarmouk University, Irbid, Jordan.*

Abstract

This study deals with the expressive relationship between the musical and plastic arts. It emphasizes the possibility of moving the visual picture from the physical silence to an audible state. It is obvious that both the visual and the audible arts are instruments which move sensation and develop imagination and lead to creation in production. But there are some differences between them resulting from the nature of each art. There are many cases where the audible (music) excels the visual and vice versa.

In the art, there are many cases where one encounters joint works by artists in music and ones in plastic art. But these joint projects rarely go to serious studies to get specific results. One of these meetings took place between composer, Modest Petrovich Mussorgsky and his friend, artist Victor Hartmann. This meeting was about the artistic work which was represented in the musical work "Suite Pictures at an Exhibition" by the musical artist, Mussorgsky, who took his inspiration from a series of paintings by Hartmann, who painted and displayed these artistic works in the Art Academy Exhibition in St Petersburg in 1874. The visual expression by Hartmann was analysed into audible expression by Mussorgsky in this summary, based on the written music score for the work, listening to it and on available resources and references.

المقدمة

نشأت في الدول التي بقيت طويلاً تحت الاستعمار أو انزلت عن العالم الأوروبي وفي أوج رومانسية القرن التاسع عشر الثائرة على التقاليد والقواعد المرعية في الأدب والموسيقى اتجاهات جديدة، انطلقت بها آفاق متحررة من كافة القيود، لكنها عجزت عن مجازة إيطاليا وفرنسا وألمانيا للحركة الموسيقية العالمية خلال القرن التاسع عشر. وقد اتجهت هذه الدول وعلى رأسها روسيا وتشيكوسلوفاكيا وأسبانيا إلى إعلاء شأن تراثها القومي وابتكار موسيقى قومية خاصة بها تقوم على أساس هذا التراث من الأساطير الشعبية مستمدة مصادرها الموسيقية من أحداثها القومية ومن نضالها ومن حانها الشعبية (عكاشة، 1996، 349).

لقد تشكلت فرقة الخمسة الروسية من الذين قاموا بوضع حجر الأساس في التأليف الموسيقي نحو العالمية وقد اجتهدوا في استقبال الألحان القديمة الشائعة لنقلها إلى أعمالهم وفرح العامة لاستماعهم لمثل هذه الأعمال، اطلقوا على أنفسهم أول الأمر اسم الحفنة (كونشكا) وسماهم الفرنسيون والانجليز وغيرهم من الأوربيين فيما بعد بمدرسة الخمسة (عكاشة، 350، 1996). وبذا انطلقت الموسيقى الروسية حتى وصلت إلى ما نعرفه عنها الآن. أما فرقة الخمسة فهم على النحو الآتي:

1. بالاكيريف Mily Balakirev (1837 – 1910) كان استناداً في الرياضيات.
2. برودين Alexander Borodin (1833 – 1887) كان كيميائياً وصيدلياً ومعلمًا.
3. سيزار كوي Cesar Cui (1835- 1918) كان مهندساً حربياً في الجيش.
4. موسورسكي Modeste Moussorgsky (1839- 1881) كان ضابطاً في جيش الخيالة.
5. ريمسكي كورسكوف Nicolai Rimsky Korsakov (1844- 1908) كان ضابطاً في جيش البحرية.

ولم تكن الموسيقى الروسية قبل هؤلاء ذات بال. وكانت موسيقاهم غير شائعة، إلا أنها كانت محاولات من قبل كلينكا الذي حاول إدخال بعض الأغاني ذات الطابع الروسي إلى الأوبرا الخاصة به (حياة القيصر) إلا أن موسيقاه لم تكن مفهومة وكانت محصورة.

أما مسوغات إجراء الدراسة فيمكن بيانها على النحو التالي:

أهمية الدراسة:

تكمن أهمية الدراسة في بيان العلاقة المترابطة بين الفنون عامة وبين الفن التشكيلي والموسيقى. كما تبين إمكانية التعبير في الموسيقى من خلال رسم الصور بالنغمات وتوضيح صعوبة هذا الرسم الذي يحتاج إلى مقدرة موسيقية فائقة.

الهدف من الدراسة:

هو تحليل متتالية لوحات في معرض للمؤلف الموسيقي موسورسكي حيث اعتمدت الدراسة لوحات فنية للرسام هارتمن وهي من المؤلفات الموسيقية الوصفية البروجرامية Programmers Music القليلة التي استطاعت أن تبرز العلاقة التعبيرية بين الفن التشكيلي المرئي والفن الموسيقي المسموع في برنامج موسيقي وصفي.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسات سابقة تعرضت لتحليل متتالية لوحات في معرض من حيث توضيح الصلة والترابط المشترك بين الفن التشكيلي والموسيقى وبيان العلاقة الهارمونية بين تمازج الألوان التي الهمت الموسيقي ميسورسكي لخلق تمازج هارموني في الاصوات. لكننا قد نجد دراسة للدكتورة عواطف عبد الكريم توضح بها تاريخ وتدوق الموسيقى العالمية في العصر الرومانتيكي وتتطرق إلى متتالية صور في معرض ما كمثال.

مشكلة البحث:

1. استخدم موسورسكي العناصر الموسيقية في التعبير عن مضمون اللوحات العشر المختلفة بعضها عن بعض معتمدا على تيماء او مقطع موسيقي يربط بين هذه اللوحات.
2. اختلاف المضمون بين اللوحات التشكيلية، كانت سبباً رئيساً لبناء متتاليات مختلفة في المضمون الموسيقي.
3. العلاقة بين التعبير المرئي في لوحات الرسام " هارتمن " والتعبير الموسيقي المسموع في كل من هذه الصور للمؤلف الموسيقي موسورسكي، وبيان قدرة التعبير عند الفنان التشكيلي والموسيقي.

نبذه عن حياة الموسيقي موسورسكي:

ولد في 21 آذار 1839 في كاريفو (Karevo) وتوفي في 28 آذار 1881 في سان بطرسبرغ (St. Petersburg) (موقع: <http://w3.rz-berlin.mpg.de/cmp> 1996) . كان واسع الخيال منذ نعومة أظفاره إذ ظهرت موهبته الموسيقية مبكرة، وكان عازف على آلة البيانو وتلقى أصول وقواعد العزف الموسيقي على يد أمه ومربيته الألمانية، ألف قطعاً موسيقية لآلة البيانو وعمره 9 سنوات (http://www.geocities.com.Cheong, 1998)، ويعتبر أحد الخمسة الكبار في عالم الموسيقى القومية الروسية، التحق بالكلية الحربية وتخرج فيها ضابطاً. ظل ملتزماً بالاستماع للموسيقى الإيطالية والألمانية من السيمفونيات والأوبرات حتى تفهم أساليبها ودقائق فنونها.

لم يتعلم قواعد الهارموني والتأليف الموسيقي، ولكنه درس على نفسه و اكتسب خبره عالية في النظريات الموسيقية، وحلل الكثير من أعمال العباقرة المؤلفين الكلاسيكيين، كان مؤمناً بالإلهام الفطري لدى الموسيقي، ظل منطلقاً حراً غير متقيد بالقوالب والصيغ الموسيقية التقليدية. كانت لديه العناصر الرئيسة والأدوات الفنية الكامنة داخله لبناء أسس الموسيقى الروسية الحديثة.

يعد موسورسكي الأكثر إخلاصاً وتلقائية والأكثر خصوصية في أعماله. والأسبق ابتكاراً لكنه كان سيئ الحظ، نشأ في قرية وظل بها السنوات العشر الأولى من حياته، وصور في موسيقاه طبيعة الحياة القروية وأخلاق سكانها بكل صدق وواقعية. كانت موسيقى موسورسكي مليئة بالصور التعبيرية مما يجعله قريباً من الفن المرئي (التصوير) سوى انه رسم بالصوت والنغم.

كان موسورسكي رساماً موسيقياً يستعمل ألواناً قوية وهارمونية خشنة مع بروز الإيقاع المتغاير والإيقاع الذي كان غير مألوف في أوروبا مثل 4/5، لكنه متعارف عليه في الأغاني الشعبية الروسية. كذلك استعمل بعض القفلات غير المألوفة. تعامل موسورسكي بشغف على الجمع بين خصائص الشكل كعنصر من عناصر البناء الموسيقي والإيقاع كأساس من أسس هذا البناء لإحداث تعبير موسيقي منسق وجذاب يجسد الموسيقى الشعبية الروسية (http://www.geocities.com.Cheong, 1998).

عبر موسورسكي عن أخلاق الشعب الروسي وعاداته بكل صدق من خلال العمل الدرامي الموسيقي أوبرا **Boris Godunov** (بوريس جودونوف)، كما عبر عن براءة الطفل وبساطة الفلاح في أغنية أهازيج الطفولة (A Child's Scherzo). أما الأعمال التي عبر عن قوميته بها فكانت واضحة في المتتالية التصويرية الخاصة لألة البيانو (لوحات في معرض الصور). **The piano Suite Pictures at an Exhibition**.

يمتاز موسورسكي من حيث الأسلوب الموسيقي بالعناصر التالية:

1. ألحانه بعيدة عن القفزات الواسعة.
2. لديه أحساس هارموني قوي وخشن
3. الإيقاعات عنده متغيرة ومتنوعة.
4. التالافات في موسيقاه مستقلة، وليست جزءاً من السلم الموسيقي.
5. انتقالاته وتحولاته مقاميه غير تقليدية.
6. استعمل السلم السداسي ذي الأبعاد المتساوية.

ظل موسورسكي عازباً طيلة حياته، وعاش على الذكرى الباقية من ابنة عمه التي أحبها وماتت في ريعان شبابها، ولهذا لم يتزوج أبداً، وأقام عقب وفاة أمه في العام 1865 مع أخيه ولعل هذه من الأسباب انعكست على الحياة التعيسة التي عاشها في أواخر أيام عمره. حيث مكث مع أصدقائه ومنهم رمسكي كورساكوف حتى عام 1872 (مجلة نزوى، كوتوزوف، <http://www.nizwa.com>) إلى ان تزوج صديقه، وتركه لوحدة مريرة لم يخففها إلا الانشغال في إنجاز أوبراه التي أكملها كورساكوف بعد وفاته ثم عكف على الشرب وعاش ظروفاً سيئته سمحت له في الحصول على المشروب. عاش في أماكن قذرة، وسط عزلة تامة زاد من إيلاهما التجاهل التام من أصدقائه ومن بينهم الموسيقار بالاكيريف الذين عاملوه باعتباره منبوذا لا يقترب منه أحد، وفي 24 فبراير 1881 تعرض موسورسكي لثلاث أزمات قلبية، فنقله أصدقائه إلى المستشفى حيث تحسنت صحته قليلاً، بحيث أتيح للرسم الروسي إلبا ريبين أن يرسم صورته. وظل يشرب حتى فقد صحته ولقط أنفاسه ولم يكن عنده سوى عدد من الممرضات حيث سمعن صيحته الأخيرة، وكان ذلك في 28 مارس 1881.

دوافع العمل الموسيقي:

كان موسورسكي مخلصاً في حياته الاجتماعية والعملية وانعكس ذلك على طريقة التعامل مع أصدقائه فمنهم من نبذه وتجاهله ومنهم من تعاطف ووقف معه في محتته، إلا ان موسورسكي بقي وفياً لهم. مثل الرسام فكتور هارتمن Victor Hartmann الذي كرس قضية الفن الروسي لتتلاءم مع شخصيته ومن المحتمل ان موسورسكي قبله في عام 1870.

في عام 1874 أقامت أكاديمية الفنون في سان بطرسبرغ معرضاً لمجموعة من لوحات هارتمن وأعماله المائية، والتصاميم الهندسية و بعض التماثيل. وذلك تكريماً له ولفنه، زار موسورسكي المعرض عدة مرات وقرر تكريم ذكرى صديقه بأسلوبه الخاص حيث ألهمت معظم اللوحات المعروضة الموسيقي موسورسكي لإنجاز عمل متميز استطاع ان يجمع به بين أقطاب الفنون الصامتة بلغتها والمعبرة بفكرها ومنهجها (الفنون التشكيلية) وبين لغة الأداء المنفردة بتصريحاتها وتعبيراتها المسموعة والمحسوسة بتفاصيلها (لغة الموسيقي). ان قام بنقل الصور إلى العالم المسموع. حيث ألف عمله المشهور (لوحات في معرض الصور) بنيت على أساس عشر لوحات أظهرها بموسيقى رقيقة ومعبرة عملت على تحديد الصور ووضعها بإطار موسيقي جميل. وسميت بالمتتالية لآلة البيانو أما التوزيع الاوركستراي فكان للموسيقي الفرنسي موريس رافيل Maurice Ravel* في عام 1922م وعرضت في صورتها الأوركستراية الجديدة لأول مرة بمدينة باريس عام 1923م (نصار، 1998، 17). علماً بأن هذا العمل الموسيقي ينتمي إلى نوعية الموسيقي الوصفية البروجرامية Programmed Music حيث نستطيع التعبير بالموسيقى عن موضوعات مختلفة في الفن التشكيلي، والفنون الأخرى المختلفة.

المتتالية (Suite):

هي مؤلف موسيقي يتكون من عدد من المقطوعات تعزف الواحدة تلو الأخرى. وهي تجمع رقصات شعبية ويراعى في هذا النوع الانتقال بين السرعة والبطء، حسب الايقاعات التي ترافقها، وكذا التنوع في الحركة الإيقاعية (قدوري، بدون تاريخ، 195). وتعرف في اللغة الفرنسية (Ordre) وفي الألمانية (Partie) وفي الإيطالية (Sonata Da Camera). نشأت في عصر الباروك (1600-1750) وتتألف من أربع رقصات أساسية وهي 1. الليماند (Allemande) وبحركة بطيئة وهي رقصة المانية الأصل (قدوري، بدون تاريخ، 195). 2. الكورانت (Courante) وحركتها سريعة 3. الساراباند (Sarabande) وحركتها بطيئة وهي رقصة اسبانية 4. الجيج (Jig) وحركتها سريعة (نصار، 1998، 56) وهي رقصة إنجليزية الأصل.

أنواع المتتاليات:

1. المتتالية المختارة من موسيقى احد الباليهات مثل متتالية باليه (كسارة البندق) و(بحيرة البجع) تشايكوفسكي. ومتتالية باليه سنديريلا بروكوفيف.
2. المتتالية المختارة من موسيقى احد الأوبرات مثل متتالية أوبرا (كارمن) بيزيه.
3. المتتالية المختارة من موسيقى كتبت لإحدى المسرحيات مثل متتالية (حلم ليلة صيف) مندلسون. ومتتالية (فتاة الأزل) بيزيه.
4. المتتالية المختارة من موسيقى احد الأفلام السينمائية مثل متتالية (قصة حب) فرنسيس لي.
5. المتتالية التصويرية بحيث يصور المؤلف موضوعاً معيناً وتحمل كل مقطوعة عنواناً خاصاً بها، مثل متتالية (شهرزاد) رسكي كورساكوف، ومتتالية (لوحة من معرض) موسورسكي.

التحليل الموسيقي لحركات متتالية لوحة من معرض:

ينقسم هذا العمل إلى عشر صور تبدأ بلحن يسمى (Promenade) بمعنى (نزهة أو التجوال) وهو نوع من الفكرة المتكررة Ritornels التي تتخلل إبيسودات مختلفه (المقطوعات الموحة بالصورة) على مبدأ الروندو أو ان يُفسر العمل على انه متتالية وصفية من مقطوعات مختلفة يستخدم فيها لحن (النزهة) كعامل ربط (عواطف، 2005، 231) حيث يظهر هذا اللحن في تنويعات مختلفة أحياناً بين الصورة والأخرى. ثم يقف المؤلف الموسيقي عند كل لوحة (صورة) مفصلاً ما جاء بها من منظوره وبطريقته الموسيقية الخاصة. حين يقف موسيقي أمام لوحة فنية مصورة بعناصرها المرئية يبدأ إحساسه بالعمل وكأنه يترجم بالصوت فيسمع صوتاً لونه ويسمع نغماً للخط ويدرك (الهارموني) من خلال العلاقات المنسجمة بين

عناصر هذا العمل المرئي فيدرك الهارموني في درجات اللون المتقاربة وفي نوع الخط المستخدم وفي الإحساس ألملمسي المنسجم. كما يدرك القيم الضوئية بواسطة التدرج من العمق إلى السطح فيلجأ المؤلف الموسيقي لآلات تسعفه للتعبير عن هذا الانتقال من الأعماق إلى السطح فينتقي آلة النفير (Trumpet) مثلاً.

التجوال أو النزهة 1 Promenade وتكون على النحو الآتي:



ويلاحظ في هذه المقدمة التنوع في استخدام الموازين من قبل المؤلف إذ يظهر استعماله للميزان 4/5 وكذلك الميزان 4/6. وهي موازين مستخدمة في الموسيقى الشعبية الروسية كما هي في الموسيقى العربية لكنها غير معروفة في الموسيقى الأوروبية. أما السلم فقد استخدم B flat major.



حين قام موسورسكي بتسجيل انطباعاته وأحاسيسه وخاصة أثناء تجمع الحضور أمام قاعة العرض وقبل الافتتاح. يستذكر بها صديقه بألم وحرقة على فراقه معبراً عن هذا الإحساس ولم يكن من آلة تسعفه لهذا الموقف التعبيري الموسيقي إلا آلة النفير (Trumpet) التي تصدر نغماتها من أعماق العازف أو روحه، ثم تشترك آلات النفخ بنفس الروح منها آلة الكورنو Cor (اشخانيان، 1999، 65) وتعرف باسم (French Horn)

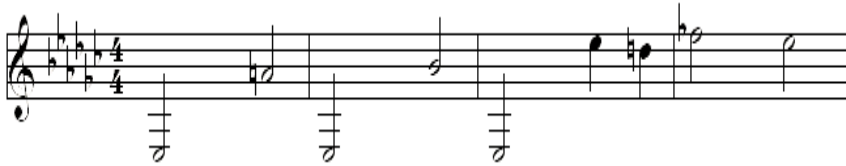
(نصار، 1998، 25)، الترومبون Trombone، والتوبا Tuba. وتتبعها بقية آلات الأوركسترا معبرة عن الأجواء القلقة التي يعاني منها المؤلف لفقدان صديقه. وتشبه هذه النزهة الأغاني الشعبية الروسية من حيث اللحن والإيقاع. وبعد المثل أمام أعمال المعرض

الفنية للفنان هارتمن نجد المؤلف الموسيقي موسورسكي قد أعاد رسم الأعمال الفنية (اللوحات) ولكن بأدوات غير التي استخدمها هارتمن، فقد لجأ إلى الآلات الموسيقية وتمازجها بدل الفرشاة وتمازج الألوان وإلى النغم الصوتي بدل النغم اللوني، فكانت تجربته مع اللوحة الأولى

الصورة الأولى: The Gnomus (المشوه)



وهي تعويذة كانت تعلق في شجرة عيد الميلاد وتمثل مخلوقاً قصير القامة (قزم) بشع المظهر ذا ساقين معوجتين يسير بخطوات غير متوازنة ما يلبث ان يسير خطوة حتى يسقط على الأرض، ثم يعود ويسير مرة أخرى. وضح موسورسكي الحركة الموسيقية باستخدام النغمات الطويلة للتعبير عن حركة (القزم) مع استخدام الميزان 4/4 وبتعبير خافت بدأ برسم الصورة الأولى معتمداً على السلم. e flat minor استخدم الصنج وآلات الإيقاع مع آلة النفخ بقوة معتمداً على الآلات الوترية لتعزف بطريقة النقر (Pizzicato) وبمرافقة آلة الإكسيلفون لعزف نغمات متقطعة للتعبير عن طريقة مشي القزم. أما اللحن المسيطر فهو:



تقوم الاوركسترا بعزف المقطع المذكور أربع مرات متتالية تؤديه آلات النفخ وبمرافقة الوترية. وفي المرة الثالثة ترافق الوترية هذا الجزء بالعزف بطريقة (التريمولو Tremolo) لتزداد في المرة الرابعة بنفس النمط وبقوة شديدة. لينتهي العمل بمرافقة الآلة الإيقاعية الطبلية الجانبية (Side Drum) وذلك بتصاعد نغمات السلم من الخافت إلى القوي.

لقد التقت عبقريتان في عمل واحد، فالعبقرية الأولى التي بدأها الرسام هارتمن الذي استطاع بواسطة التعبير بالعناصر المرئية أن يستثير مشاعر عبقرية أخرى وجعلها تحس بكل خلجات من رسمها لا بل تعيد رسمها بفن يختلف بطبيعته عن الفن الأول، وهذا يدل على مدى صدق وقدرة التعبير لدى الرسام هارتمن وعلى الشفافية والقدرة على التغيير لدى المؤلف الموسيقي موسورسكي. لقد استخدم الرسام (هارتمن) الإيقاع اللوني والإيقاع الخطي واستطاع من خلالهما أن يصل إلى الإيقاع الحركي. وهذا ما تم التقاطه من زميله المؤلف الموسيقي موسورسكي.

أن قراءة أي عمل من العملين سواء العمل الأول (المرئي) أو العمل الثاني (المسموع) سوف يلمس الهارموني في التدرج اللوني والتدرج الخطي، ويلمس، في الوقت نفسه، التضاد (Contrast) بين الدرجة الأولى والأخيرة من اللون، كما يستطيع المستمع أن يتلمس التضاد (Contrast) بين نغمة السلم الأولى الخافتة والأخيرة القوية.

التجوال أو النزهة 2 Promenade يعاد عرض النزهة مرة ثانية بعد اللوحة الأولى وبطريقة مختلفة عما جاءت عليه سابقاً. تمهيداً للانتقال إلى اللوحة الثانية.

الصورة الثانية: The old Castle (القلعة القديمة).



تمثل اللوحة صورة لمغني من التروبادور (Troubadour) يعزف على آلة العود أمام قلعة قديمة في العصور الوسطى في إيطاليا (مجلة h2g2، 10، موقع <http://www.bbc.co.uk/dna/h2g2/alabaster>). وتبنى هذه اللوحة على فكرتين تؤدي الجزء الأول من اللحن آلة الفاجوت (Fagot, Bassoon) (مجلة h2g2، 23، موقع <http://www.bbc.co.uk/dna/h2g2/alabaster>) بغاية الحساسية والرقّة. تتبناها آلة

السكسفون (Sax- Alto) ثم الوترية وجميع الاوركسترا. اما الفكرة الثانية فتؤديها آلة السكسفون، ولعل المؤلف الموسيقي يريد ان ينقل أحاسيس عازف آلة العود والألوان الداكنة في اللوحة بكل شفافية باستخدامه آلة الفاجوت والسكسفون ويظهر لنا اللحن كما هو مدون على النحو التالي:



السلم المستخدم هو (g sharp minor) والميزان هو 8 / 6.

التجوال أو النزهة 3 Promenade

يعاد عرض النزهة من قبل الاوركسترا بمقدار 8 خانات (measures) فقط وبالسلم. (B major) وبعده موازين يبدأ ب 4/5 ثم 4/6 وينتهي بالمازورة الثامنة بالميزان 4/4 تؤديها الوترية بكل حساسية وخفة.

الصورة الثالثة: Tuileries حديقة التيوليري.



تصور لنا اللوحة صوراً للأطفال يلعبون ويمرحون وهم في غاية الفرح والسعادة. كما توضح صورة المربيات وهن يتبعن ويلاحقن الأطفال للمحافظة عليهم في حديقة(التيوليري) التي تقع في منتصف قصر التيوليري التاريخي الذي عرف في العصور الوسطى وكان ملتقى للملوك والأمراء والنبلاء.. وقد عبر عن ذلك موسورسكي بعشوائية الأداء مصوراً طريقة لعب الأطفال غير المنتظمة والركض والمداعبة أحيانا والتزحلق على الأرجوحة، حيث يبدأ برسم صورة لعب الأطفال بالعزف من نغمة (Re # و Fa #) وتعاد مرتين، ثم يرفع النغمة إلى درجة (Re # و Sol #) وتعاد ايضاً مرتين. على النحو التالي:



ثم ينتقل إلى وصف زحلقة الأطفال من الأرجوحة في المازورة العاشرة وعلى النحو التالي:



وقد استخدم المؤلف كافة التعبيرات الموسيقية من التصاعد في الشدة والتباطؤ ومن القوي والخافت وغيرها، أما السلم المستخدم في اللوحة فهو (B major)

الصورة الرابعة ببدلو [Polish Bydlo](#) عربية بولندية يجرها ثور.



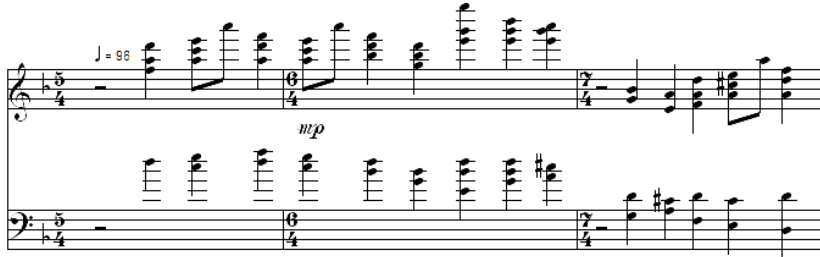
ينتقل المؤلف إلى اللوحة الرابعة دون أي فاصل أو فترة زمنية بينها وبين اللوحة الثالثة، وكأنه لا يوجد مجال أو مسافة فاصلة بين اللوحتين. ويصف لنا المؤلف حركة مسير هذه العربة وهي قادمة من بعيد بالتعبير الموسيقي ثم يتدرج في استخدام القوة لوصول هذه العربة التي تمتاز بضخامة العجلات الخشبية تربطها صفيحة معدنية، تغير من سلاسة مسير العجلات ويظهرها المؤلف في إيقاع اللوحة أثناء المسير. وهنا نرى كم كان موسورسكي موفقاً في ترجمة البعد الثالث (المنظور) موسيقياً حيث تحرك في إيقاعه بحركة تدريجية متنامية نحو الوضوح ليصدق في تعبيره عن البعد والقرب معتمداً على اللحن الشعبي الروسي الذي تؤديه آلة التوبا (Tuba) وترافقه الاوركسترا بقوة حيث تتوافق الحركة في اللحن مع التعبير عن الحركة في اللوحة التشكيلية على النحو التالي:



وتنتهي المقطوعة بتلاشي الموسيقى مستخدماً أسلوب التناقص في ارتفاع الصوت وكأن العربة تسير في ابتعاد معتمداً على نفس الآلة في الانتهاء من هذه اللوحة. كما فعل فريدريك سميتانا (Fredric Smetana) في نهاية مقطوعته الموسيقية القصيدة السيمفوني (Poem Symphony) نهر المداو (La Moldau) حين غادر النهر وابتعد عن موطنه كرحيل شيء عزيز عليه. الميزان المستخدم في القطعة الموسيقية لهذه اللوحة هو 4/2 أما السلم المستخدم فهو (g sharp minor).

التجوال أو النزهة. Promenade 4.

يتم عرض النزهة بسلم d minor مستخدماً عدة موازين منها 4/7، 4/6، 4/5، وأخيراً 4/3. ممهداً للانتقال إلى الصورة الخامسة.



الصورة الخامسة Ballet of the Unhatched Chicks باليه الكتاكيت الثلاثة.



تمثل الصورة لوحة لثلاثة كتاكيت في بداية مرحلة النمو وخروجها من البيض. وقد عبر عن عدد الكتاكيت بثلاثة صرخات، تبدأ الصرخة الأولى في المازورة 20 في التدوين الموسيقي. وبعد الصرخة الثانية يصور لنا موسورسكي طريقة سير الكتاكيت غير المنتظمة مستخدماً آلة فلوت وآلات النفخ الخشبية. كما استخدمت الوترية أسلوب النقر (Pizzicato).



وتنتهي اللوحة بنهاية الصرخة الثالثة. استخدم السلم (F major) أما الميزان فكان 4/2. اعتمد على النغمات العالية في هذه اللوحة.

الصورة السادسة " Samuel and Goldenberg " الغني والفقير (جولدنبيرغ وشمايل).



تبدأ اللوحة مباشرة دون وجود لحن للنزهة أو التجوال وبعنوان (شمايل وجولدنبيرغ) وهما يهوديان بولنديان الأول جولدنبيرغ ثري جداً يرتدي ثياب أنيقة وجديدة ويحمل ساعة ذهبية ذات سلسلة، وخاتماً يتوسطه جوهرة كريمة براقية. يعبر عنه بالموسيقى بعزف الآلات الوترية وآلات النفخ الخشبية في الاوركسترا مبيناً ضخامة الشخصية وفخامتها التي تعبر عن الثراء. ويعبر عنها بالمقطع الموسيقي التالي:



استخدم السلم الموسيقي b flat minor وتنوع في استخدام الموازين من 4/4 و 4/3. وكذلك في التعبير استخدم القوة العظمى FFFF في الأداء لتدل على قوة الشخصية كما استخدم التعبير Criard (Decrescendo).

أما الثاني: صمويل (شمايل) فهو فقير جداً بنيته ضعيفة وغير متوازنة يبحث عن المال ومثير للشفقة. عبر عنها موسورسكي باستخدام آلة الترومبت المكتومة high muted

Trumpet (أي استخدم جهاز الكاتم للآلة وهو (Sourdine)) وقد بدأ من المازورة التاسعة في رسم صورة الشخصية. ويعبر عنها بالمقطع الموسيقي التالي:



استخدم المؤلف نفس السلم b flat minor واستخدم الميزان 4/4 معتمداً على التلوين في النغمات أو ما يعرف **Chromatique**.

يجمع في الحوار بين المقطع الموسيقي الأول لشخصية جولدنبيرغ والمقطع الموسيقي الثاني لشخصية شمايل لدلالة على الحوار بين الطرفين، يطلب شمايل بالراح ليلقى الإحسان من جولدنبيرغ ولكنه يرفض وبشدة ويطرده غاضباً.

التجوال أو النزهة 5 Promenade

يقوم بعرض النزهة أو التجوال بشكل عام تؤديه كافة الاوركسترا وبالسلم B flat major إلا ان معظم الفرق الموسيقية تحذف هذه النزهة من أعمالها. لننتقل إلى الصورة السابعة مباشرة.

الصورة السابعة The Market at Limoges سوق ليموج.



تتحدث اللوحة عن سوق ليموج في باريس وتعبر عن ضجيج السوق من الباعة وصراخهم ومحادثات الرجال والنساء. والصراعات التي تنشب بين أفراد الطبقة الكادحة. وقد بينها موسورسكي في الإيقاعات القوية والألحان المتدفقة في موسيقاه.

السلم الذي استخدمه E flat major أما الميزان فهو 4/4 و 4/3. استخدم المسافة الرابعة والثالثة والثانية في تصاعد النغمات وهبوطها كما استخدم الدرجة التاسعة أما المقطع الموسيقي فعلى النحو التالي:



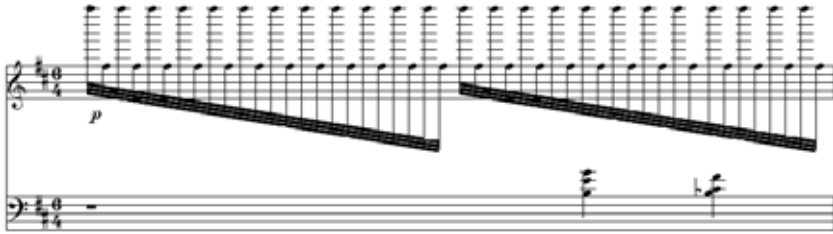
الصورة الثامنة The Catacombs زيارة المقابر.



زيارة هارتمن وصديقة للمقابر الرومانية القديمة، وهو يحمل بيده فانوساً ينبير له الطريق. ومن المتعارف عليه ان هذه المقابر كانت عبارة عن غرف تحت الأرض او ما تسمى سراديب الموت تحت باريس (Mussorgsky/Ravel موقع <http://www.factbites.com>). يصور موسورسكي هذه الصورة القاتمة بقطعة موسيقية ذات لحن ديني يرمز إلى جلال الموت وتتألف من 30 مازورة فقط. وتقوم آلات النفخ الخشبية بتأدية التالقات الهارمونية البطيئة. معبراً عن الألوان القاتمة المستخدمة في اللوحة التشكيلية. إن أثراً لتباين اللوني في هذه اللوحة ما بين اللونين الأبيض والأسود كان مصدر الهام لميسورسكي.



بتابع الصورة بعنوان **Con mortuis** بمعنى **With the Dead in a Dead** **Language** مع الموت في لغة الأموات يصف بها المقبرة وصورة الجماجم عندما تسقط عليها إنارة الفانوس الذي يحمله هارتمن. استخدم السلم. **b minor**. أما الميزان **4/6** ويظهرها بالمقطع الموسيقي التالي:



الصورة التاسعة **The Hut on Hen's Legs Baba-Yaga** كوخ مبني على ساقى دجاجة (بابا ياغا).

معتماً على القصة الشعبية الخرافية الروسية (بابا ياغا) صمم هارتمن ساعة على شكل كوخ بناه على ساقى دجاجة لها ثلاث ركائز، ألهمت موسورسكي لوضع موسيقاه معتمداً على هذه الأسس الثلاث،



الركيزة الأولى:

وصف للساحرة ببشاعة وتجاويد وجهها، انفها المعقوف وشعرها الأشعث، كذلك وصف للمكان التي تسكن فيه المليء بالرهبنة والرعب. وقد عرفت هذه الساحرة الخرافية بأنها مصدر ترهيب الأطفال في روسيا.



السلم المستخدم A minor الميزان الثنائي 4/2.

الركيزة الثانية:

يصف نوم الطفل البريء وهو في المرحلة الأولى من نومه معتمداً على الوترية Strings في عزف النغمات الطويلة وبشكل التريمولو Tremolo وهو ما يشبه الزغردة، ثم

المرحلة الثانية وهو مستغرق في نومه موضحاً ذلك في المازورة 63 وفي المقطع الموسيقي التالي:



ويستمر في وصف نوم الطفل حتى المازورة 108 ويلاحظ السلم المستخدم هو A minor الميزان الثنائي 4/2.

الركيزة الثالثة:

فهي إظهار قلق الطفل وهو في حلمه فيرى الساحرة وكأنها تلاحقه وهي نفس اللحن الذي تقدم في الركيزة الأولى. إن تبدأ في المازورة رقم 109.



ويصف موسورسكي صراع الطفلة في منامها بينها وبين الساحرة. إن تظهر فترات هادئة أحيانا وفترات سريعة وصاخبة تارة أخرى.

الصورة العاشرة The Great Gate of Kiev بوابة كييف العظيمة.



رسم هارتمن بوابة كئيّف بتصميم خاص ادخل فيه النمط الشرقي واطهر القباب وكذلك الأقواس، وتخيّل الرسام مرور أبطال روسيا من تحت هذه الأقواس. وقد ساهم تأثير استخدام اللون على العمل الموسيقي وكيف اثرت بهجة الألوان على الموسيقى.

وضح موسورسكي بالموسيقى ضخامة هذا العمل مستخدماً مجموعة آلات النفخ النحاسية وآلة الفاجوت وبقية آلات الاوركسترا ثم استخدم الأجراس والطبول والمثلث ليمثل مرور موكب الفرسان تحت بوابة كئيّف. كما أضاف النزهة في نهاية العمل بطريقة مترابطة أو متداخلة جاءت بقوة وعظمة الموقف للتعبير عن عظمة روسيا. أما التدوين الموسيقي فعلى النحو التالي:



ويتكون من السلم الموسيقي E flat major الميزان 4/4 ولكنه استخدم النغمات الطويلة مثل الروند والبلانش في القطعة.

الخاتمة :

يعتبر فن الوصف بالموسيقى من الامور الصعبة جداً وتتطلب مهارة فائقة في فهم الموسيقى الأدائية بجانب قدراته الثقافية والعلمية واستيعابه للعلوم الموسيقية النظرية والتطبيقية والمهارة الأدائية في العزف أو الغناء ونعني بذلك الخبرة الطويلة في التأليف أو التلحين (الماعي، مجلة الوفاق موقع <http://www.al-vefagh.com>). إضافة إلى فن تجميع النغمات الموسيقية بحيث تسمع في أن واحد (الهارموني) وعلم (الكونترابوينت) وعلم الآلات. وذلك حتى يستطيع الموسيقي رسم الصورة بدقة وامكانية التعبير عنها من خلال النغمات والسلاسل والايقاعات والسرعة، وإدراكه إمكانيات الآلات الموسيقية ومساحتها الصوتية

وأفضل مجال تؤديه كل آلة، كذلك التوافق والتمازج بين الآلات لاستخلاص الهدف المراد رسمه.

وتكمن أهمية هذه الدراسة في اظهار التزاوج بين الموسيقى والفن التشكيلي.

استطاع الموسيقي موسورسكي التعبير بدقة ووضوح عن مجمل الصور التي تم تحليلها في البحث وابرز جمالياتها حيث اضى احاسيسه الرائعة التي تسهم في تنمية الخيال لدى المستمع لموسيقاه. ان يستطيع تخيل لوحات الرسام دون الرجوع إلى اصل الصورة وذلك خلال وضوح التعبير الموسيقي .

ملحق التحليل الموسيقي:

عنوان العمل الموسيقي صورته في معرض Pictures at an Exhibition

1.

رقم الصورة	Introduction
عنوان اللوحة التشكيلية	التجوال أو النزهة 1 Promenade
السلم	B flat major
الميزان	4/5 - 4/6

2.

رقم الصورة	الأولى
عنوان اللوحة التشكيلية	The Gnomus (المشوه)
الميزان	4/4
السلم	E flat minor
الميلودية الاساسية	أ، ب، ج.

3.

رقم الصورة	الثانية
عنوان اللوحة التشكيلية	The old Castle (القلعة القديمة).
الميزان	8 / 6
السلم	G sharp minor.
الميلودية الاساسية	أ. ب

.4

رقم الصورة	التجوال أو النزهة
عنوان اللوحة التشكيلية	3 Promenade
الميزان	4/4 ثم 4/6 ثم 4/5
السلم	B major

.5

رقم الصورة	الثالثة
عنوان اللوحة التشكيلية	Tuileries حديقة التويليري
الميزان	4/4
السلم	B major
الميلودية الاساسية	أ

.6

رقم الصورة	الرابعة
عنوان اللوحة التشكيلية	PolishBydlo عربة بولندية يجرها ثور
الميزان	4/2
السلم	G sharp minor
الميلودية الاساسية	أ. ب. أ

.7

رقم الصورة	التجوال أو النزهة
عنوان اللوحة التشكيلية	Promenade 4
الميزان	4/7، 4/6، 4/4، وأخيرا 4/3.
السلم	D minor

.8

رقم الصورة	الخامسة
عنوان اللوحة التشكيلية	Ballet of the Unhatched Chicks باليه الكتاكيت الثلاثة
الميزان	4/2
السلم	F major
الميلودية الاساسية	أ. ب. ج

.9

رقم الصورة	السادسة
عنوان اللوحة التشكيلية	Samuel and Goldenberg الغني والفقير جولدنبيرغ
الميزان	وشمايل. 4/4 و 4/3
السلم	b flat minor
الميلودية الاساسية	أ. ب

.10

رقم الصورة	التجوال أو النزهة
عنوان اللوحة التشكيلية	Promenade 5
الميزان	4/4 و 4/3
السلم	B flat major

.11

رقم الصورة	السابعة
عنوان اللوحة التشكيلية	The Market at Limoges سوق ليموج
الميزان	4/4 و 4/3
السلم	E flat major
الميلودية الاساسية	أ. ب، ج مع كثرة التلوين الهارموني في "ب".

.12

رقم الصورة	الثامنة
عنوان اللوحة التشكيلية	The Catacombs زيارة المقابر
الميزان	4/6
السلم	. b minor
الميلودية الاساسية	أ

.13

رقم الصورة	التاسعة
عنوان اللوحة التشكيلية	The Hut on Hen's Legs Baba-Yaga كوخ مبني على ساقى دجاجة (بابا ياغا).
الميزان	4/2،
السلم	A minor. b minor
الميلودية الاساسية	أ. ب

.14

رقم الصورة	العاشرة
عنوان اللوحة التشكيلية	The Great Gate of Kiev بوابة كييف العظيمة
الميزان	4/4
السلم	E flat major
الميلودية الاساسية	أ تعاد عدة مرات. مع كثافة هارمونية.

* جميع الصور منقولة من المواقع الإلكترونية التالية:

1. http://en.wikipedia.org/wiki/Pictures_at_an_exhibition
2. <http://www.stmoroky.com/reviews/gallery/pictures/hartmann.htm>

الهوامش :

* **Joseph-Maurice Ravel** موريس رافيل : مؤلف موسيقي وعازف بيانو ولد في 7 آذار 1875 في Ciboure بفرنسا وتوفي في 28 كانون اول 1937 استخدم الألوان الهارمونية في توزيعه لمؤلفة ميسورسكي لوحات في معرض الصور .

المصادر والمراجع العربية :

اشخانيان، جوزيف؛ وخليل، غسان. (1999). الموسيقى للجميع تفسير الكلمات والعبارات الموسيقية، بيروت، ص65.

عكاشة، ثروت. (1996). الزمن ونسيح النغم من نشيد أبوللو إلى تورانجاليللا، القاهرة: الهيئة المصرية العامة، الجزء الرابع عشر، الطبعة الثانية، ص349.

عواطف، عبد الكريم. (2005). تاريخ وتذوق الموسيقى العالمية في العصر الرومنتيكي، القاهرة: مؤسسة الطوبجي للتجارة والطباعة والنشر.

فريد، بثينة؛ ونصار، زين. (1998). القومية وأعلام الموسيقى في أوروبا ومصر، القاهرة: مكتبة مديولي، ط1، ص17.

قدوري، حسين. (د.ت). الموسوعة الموسيقية الصغيرة، بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ص195.

- كوتوزوف، أرسني جولينشتتيف. (د.ت). ترجمة كامل يوسف حسين، هكذا تكلم موسورسكي، مجلة نزوى الثقافية، عُمان للصحافة والأخبار والنشر والدعاية، الموقع: http://www.nizwa.com/volume4/p112_119.html
- المأحي، سليمان. (2005). أهمية التجريب في الفن الموسيقي، مجلة الوفاق، عدد 2277. <http://www.al-vefagh.com/1384/840504/html/saghafe.htm#s42210>
- نصار، زين. (1998). عالم الموسيقى، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص56.

المراجع الأجنبية

- Classic Music Pages. Romantic. Russia, *Modest Mussorgsky*, <http://w3.rz-berlin.mpg.de/cmp/mussorgsky.html>
- Joseph-Maurice Ravel* http://en.wikipedia.org/wiki/Maurice_Ravel
- Mussorgsky/Ravel: Pictures at an Exhibition Factbits. <http://www.factbits.com/topics/Pictures-at-an-Exhibition> .
- حياة موسورسكي Cheong Yew Choong, 1998, الموقع: <http://www.geocities.com/Vienna/Strasse/9981/muss.html>
- مجلة H2g2 موقع bbc.com.uk *Pictures at an Exhibition' by Modest Mussorgsky*. <http://www.bbc.co.uk/dna/h2g2/alabaster/A536410>